العدد ٢٠٠٣/٢٥

الأحد ٢٢ حزيران

أحد جميع القديسين

تذكار القديس الشهيد في الكهنة

إفسابيوس أسقف سُميساط

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الأول

الرسالة

(عبرانيين ١١:٣٣–٤٠؛ ١٢: ١-٢)

يا إخوةُ إنَّ القدِّيسين أجمعين بالإيمانِ قهروا الممالِكَ وعَمِلوا البرَّ ونالوا المواعِدَ وسدُّوا أفواهَ الأسود* وأطفأوا حِدَّةَ النارِ ونَجَوا من حدِّ السيفِ وتَقَوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشِدَّاء في الحربِ وكسروا مُعسكراتِ الأجانب* وأخذت نساءٌ أمواتَهنَّ بالقيامة. وعُذِّبَ آخرون بتوتيرِ الأعضاءِ والضربِ ولم يقبلوا بالنجاةِ ليحصُلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرونَ ذاقوا الهُزءَ والجَلْدَ والقيودَ أيضًا والسِّجنَ* ورُجِموا ونُشِروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في جلودِ غَنَمٍ ومَعَزٍ وهم مُعْوَزون مُضايقون مجهودون* ولم يكنِ العالمُ مستحقًا لهم. فكانوا تائهينَ في البراري والجبالِ والمغاورِ وكهوفِ الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهودًا لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِدَ* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئًا أفضَلَ أنْ لا يكملوا بدونِنا* فنحن أيضًا إذ يُحدقُ بنا

أحد جميع القديسين

«إن الرب عجَّبَ قديسيه الذين على الأرض، لأنهم اقتبلوا وسومه وآلامه بالجسد وتزينوا بها وتوشحوا بمحاسنه الإلهية بإيضاح، الذين نمدحهم بما أنهم أزهار غير ذابلة ونجوم للكنيسة غير ضالة وضحايا مذبوحة اختيارية» (من صلاة سحر العيد).

تقيم الكنيسة المقدسة في الأحد الأول بعد العنصرة تذكارًا جامعًا لكافة القديسين الذين نعرفهم والذين لا نعرفهم، الذين نعلم قداستهم والذين لا نعلمها. صحيح اننا نعيّد كل يوم لتذكار قديس أو أكثر، ولكننا نجهل الكثيرين ممن قرَّبهم الله إليه لأنه يعرفهم ونحن لا نعرفهم، فعيَّنت الكنيسة يومًا نُقيم فيه تذكارًا جامعًا لهم حُبًّا بهم.

هذا العيد نشأ في إنطاكية في القرن الرابع، وكان محصورًا أولاً بالقديسين الشهداء لأن الكنيسة كانت قد خرجت لتوها من أكثر من ثلاثة قرون من الإضطهادات وقد قُتل الألوف وعشرات الآلاف بسبب إيمانهم. لاحقًا شملت الكنيسة القديسين الآخرين. ومن إنطاكية انتقل العيد إلى سائر الكنائس.

لقد عيَّدنا الأحد الماضي لحلول الروح القدس على الرسل، على الكنيسة جمعاء، واليوم نُعيِّد لحصاد عمل الروح القدس، لثمار مواهب الروح القدس: «وأما ثَمرُ الروحِ فهو محبَّةٌ، فَرَحٌ، سلامٌ، طولُ أناةٍ، لُطفٌ، صلاحٌ، إيمانٌ، وداعةٌ تعَفُّفٌ» (غلا ٥:٢٢). القديسون هم ثمرة عمل الروح القدس في الكنيسة، وهم الدليل على ان الروح يعمل في كنيسته. وظيفة الروح القدس أن يقدِّس المؤمنين فردًا فردًا، لذلك فإن الكنيسة التي تأسست على الأرض يوم العنصرة هي مكان قداسة، وهدفها الأول والأخير أن تنشئ أناسًا يخصون الله ويلتصقون به: «كنيسةً مجيدةً لا دنَسَ فيها ولا غَضْنَ أو شيءٌ من مِثْلِ ذلكَ بل تكونُ مقدَّسةً وبلا عيبٍ» (أف ٥:٢٧).

الأحد الماضي انتهت فترة الفصح الخمسينية وبلغت ذروتها بحلول الروح القدس على الكنيسة، لأنه بعدما صُلب الرب يسوع وقام من بين الأموات، بعدما انتصر على الشرير وفتح لنا أبواب الفردوس، في العنصرة تحقق وعده بإرسال المعزي الذي سوف يرشدنا في حياتنا اليومية لندخل الفردوس بعدما فُتحت أبوابه.

إنه المعزي، روح الحق، الذي كان قد وعدنا به الرب يسوع قبل انطلاقه إلى الصلب: «لكني أقولُ لكم الحقَّ إنَّهُ خيرٌ لكم أن أنطلِقَ. لأنَّهُ إن لم أنطلِقْ لا يأتيكمُ المُعزِّي. ولكن إن ذهبتُ أُرسِلُهُ إليكم» (يو ١٦:٧). إنه المعزِّي الذي سوف يمكث معنا إلى الأبد (راجع يو ١٤:١٦)، وهو الذي يُعلِّمنا كل شيء ويذكّرنا بكل ما قاله يسوع (راجع يو ١٤:٢٦).

هدف حلول الروح القدس هو إنشاء شهود للرب يسوع في هذا العالم: «لكنَّكم ستنالونَ قُوَّةً متى حلَّ الروحُ القدُسُ عليكم وتكونون لي شهودًا في أورشليمَ وفي كل اليهوديَّةِ والسامرةِ وإلى أقصى الأرض» (أع ١:٨). أن تكون شاهدًا للرب يسوع يعني أن تعترف به قدَّام الناس كما يقول إنجيل اليوم. ومتى اعترفت به قدَّام الناس يعترف هو بك أمام الله وبالتالي تدخل الملكوت، أي تعود من جديد إلى حضن الآب وتكون ابنًا له بيسوع المسيح. وهذه هي القداسة، أن نكون في شركة مع الله ونحيا معه في ملكوته.

هذه هي القداسة ببساطة وهي في متناول كل إنسان. اليوم لدينا مشكلة أساسيَّة وهي اننا تربينا منذ صغرنا على الربط بين القديسين والعجائب، وكأنه لا وجود لقديسين إلا إذا اجترحوا العجائب. حتى اننا بتنا ننتظر عجيبة لنعلن قداسة إنسان ما. تعليم الكنيسة الأرثوذكسية واضح بهذا الشأن: العجائب ليست المعيار لإعلان القداسة. كثير من القديسين الذين نطلب شفاعاتهم اليوم في صلواتنا لم نسمع بعجائب قاموا بها. عندما كان يُساق الآلاف من المسيحيين في القرون الأولى أمام الإمبراطور ويقتلون، لم يكن أحد يعرف أسماءهم. أليس هؤلاء قديسين؟ نحن لا شأن لنا بالأسلوب الذي تتبعه الكنيسة الغربية وبالشروط التي تطلبها لإعلان القديسين، وبالدعاوى التي ترافق طلب الإعلان. نحن نلتجئ إلى ضمير الكنيسة، أي إلى ضمير الشعب المؤمن الحي الذي يختبر بحياته اليومية قداسة إنسان ما على قيد الحياة أو انتقل إلى الأخدار السماوية. فإذا بقي هذا الإنسان حياً في ضمير الشعب، وبقي الشعب يهدس به حتى بعد مماته ويشهد لحبه للمسيح، فلا بد أن يكون هذا من أبناء الملكوت، أي قديسًا.

في أحد جميع القديسين تدعونا الكنيسة أن يكون كل واحد منا مشروع قداسة لمجد الرب. ومن يقول انه لا وجود للقديسين اليوم يجعل وعود الرب غير صادقة لأن الرب وعدنا بأنه سوف يكون معنا «كلَّ الأيامِ إلى انقضاءِ الدهرِ» (متى ٢٨:٢٠)، كما وعد بأنه سوف يطلب «من الآبِ فيُعطيكم مُعزِّيًا آخرَ ليمكُثَ معكم إلى الأبدِ» (يو ١٤:١٦). طالما الروح القدس موجود فالقداسة موجودة، وهي موجودة في كل العصور. ليس صحيحًا ان أيامنا هي أسوأ وأصعب من أيام الذين سبقونا، وان تجاربنا هي أقسى من تجاربهم. لقد كان الشيطان منذ فجر الخليقة وإلى اليوم وهو يحاول أن يبعدنا عن الله، وكل عصر له تجاربه. ألم يكن زنى وفسق في القديم؟ ولماذا وُجد أيضًا قديسون؟ ألم يتعرض القدماء للظلم والطغيان؟ ولماذا وُجد قديسون؟ ... رسالة اليوم، على عكس القول السائد بأن الأيام القديمة أفضل من أيامنا، تجعلنا نعي كم قاسى القدماء ولم ينكروا يسوع: «وعُذِّبَ آخرونَ بتوتيرِ الأعضاءِ والضربِ ولم يقبلوا بالنجاةِ ليحصُلوا على قيامةٍ أفضل. وآخرونَ ذاقوا الهُزءَ والجَلْدَ والقيودَ أيضًا والسِّجنَ. ورُجِموا ونُشروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيفِ. وساحوا في مثلُ هذه السحابةِ من الشهود فلْنُلقِ عنَّا كلَّ ثِقَلٍ والخطيئةَ المحيطة بسهولةٍ بنا. ولنسابقْ بالصبرِ في الجهادِ الذي أمامنا* ناظرين إلى رئيسِ الإيمانِ ومكمّله يسوع.

الإنجيل

(متى ١٠:٣٢–٣٣ و٣٧–٣٨؛ ١٩:٢٧–٣٠)

قال الربُّ لتلاميذهِ كلُّ مَنْ يعترفُ بي قدَّامَ الناسِ أعترفُ أنا بهِ قدَّامَ أبي الذي في السموات* ومَن ينكرُني قدَّامَ الناس أنكرُهُ أنا قدَّام أبي الذي في السموات* مَن أحبَّ أبًا أو أمًا أكثرَ مني فلا يستحقُّني. ومَن أحبَّ ابنًا أو بنتًا أكثرَ مني فلا يستحقُّني* ومَن لا يأخذُ صليبَهُ ويتبعُني فلا يستحقُّني* فأجاب بطرسُ وقال لهُ هوذا نحنُ قد تركنا كلَّ شيءٍ وتبعناك فماذا يكونُ لنا* فقال لهم يسوعُ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم أنتمُ الذين تبعتموني في جيلِ التجديدِ متى جلسَ ابنُ البشرِ على كرسيِّ مجدِهِ تجلسون أنتم أيضًا على اثنَيْ عَشَرَ كرسيًّا تَدينون أسباطَ إسرائيلَ الإثني عَشَرَ* وكلُّ مَن تركَ بيوتًا أو إخوةً أو أخواتٍ أو أبًا أو أمًّا أو امرأةً أو أولادًا أو حقولاً من أجلِ اسمي يأخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ ويرثُ الحياةَ الأبديةَ* وكثيرونَ أوَّلون يكونون آخرين وآخرون يكونون أوَّلين.

تأمل

كيف لا أمدحكم أيها المتوشّحون بالمسيح الكاملون؟ أو ماذا أسمّيكم أيها المغبوطون المجيدون؟ من يستطيع أن يسرد قصّة إيمانكم؟ إن حكمة الخطباء والفلاسفة تعجّبت عندما رأت حوادث عجيبة تحصل لعبيد المسيح. استُنفدت كلمات الطغاة والقضاة عندما رأوا عزم الشهداء القدّيسين وصبر المجاهدين! لأنه عندما كان الخدّام الأثمة يعذّبون أجساد الأبرار لم يروهم يحزنون ويعبّسون بسبب العذاب بل رأوهم يفرحون كثيرًا ويجدون راحة وبهجة في وسط العذابات.

... فأيُّ جواب سيكون لنا في ذلك اليوم الرهيب يوم الدينونة. لأنه بدون اضطهاد وبدون أيّة شدّة أظهرنا لا مبالاة كبيرة من أجل محبّة الله ومن أجل حياتنا؟

أما الشهداء، بالرغم من الشدائد ومن مواجهة التجارب والعذابات الرهيبة، أحبّوا الله بكل نفسهم لذلك لم تستطع لا التجارب ولا العذابات أن تفصل أحداً منهم عن محبّة الله. أما نحن على العكس نعيش في الراحة والترف ولا نحب الله السيّد الصالح. ماذا نفعل عندما يأتي ذلك اليوم الرهيب ونرى الشهداء اللابسي الجهاد يُظهرون أمام منبر القضاء وبكلّ دالة، علامات الجراح والعقوبات الرهيبة؟نحن إذا ماذا سنُظهر حينذاك؟ أية إنجازات؟ المحبة لله

جلودِ غَنَمٍ ومَعزٍ وهم مُعْوَزونَ مُضايَقون مَجهودون» (عبر ١١: ٣٥-٣٧).

لقد كانت حياة هؤلاء القدماء في خطر دائم، ومنهم من مات بسبب إيمانهم. هل نحن اليوم في نفس المأزق؟ إذا قارنّا بين تجاربنا اليوم وما حلّ بأولئكَ القدماء نرى ضعف حججنا. التجارب اليوم مختلفة كليًا، ولا نقلل من أهميَّتها لأنها قادرة على أن تقتل الروح فينا. والرب يسوع يحذِّرنا من أن نخاف «من الذي يقدِر أن يُهلِكَ النفسَ والجسدَ كِليهِما في جهنَّمَ» (متى ١٠: ٢٨). المهم أن نضع ثقتنا بالرب يسوع ونتَّكل عليه بصدق وهو يعيننا، كما اتكل عليه القدماء فأعانهم: عليكَ اتَّكل آباؤنا. اتَّكلوا فنجيتَّهم. إليك صرخوا فنجوا. عليكَ اتكلوا فلم يخزوا» (مز ٢٢: ٤ و٥).

لقد انتصر الرب على الشيطان وهو الرب الوحيد، وهو الأقوى. ومن يتكل عليه يصل إلى القداسة. المهم أن لا نتعلَّل بعلل الخطايا ونضيِّع فرصة إنجاح مشروع قداسة زرع فينا يوم معموديتنا.

مدخل إلى رسالة بطرس الثانية

+ خلفية الرسالة:

تتوجه الرسالة إلى جماعة تتألف من مسيحيين من أصل يهودي ومن يونانيين مهتدين إلى المسيحية.

يتّخذ الكاتب في رسالته موقفًا هجوميًا ممن يسميهم المعلّمين الكذبة (٢:١) الذين يحرّفون تعليم الكتب المقدَّسة ومن بينها رسائل الرسول بولس (٢: ١٥-١٦)، ويرفضون عناصر أساسية من التعليم الأخروي التقليدي (الملائكة، المجيء الثاني، الدينونة الأخيرة، نهاية العالم) ويتّخذون منها ليس فقط موقف الشك بل موقف السخرية (١٦:١، ٣:٣-٥،٩). كما انهم ينكرون الرب (١:٢) ويجدِّفون على طريق الحق (٢:٢) ويعلّمون تعليمًا عن الحرية خاطئًا (١٩:٢) وهم يعيشون حياة دنسة (٢:١٠، ١٨، ٢٠).

+ تعليم الرسالة:

الموضوع الأساسي في الرسالة هو موضوع العدالة الإلهية، أي دينونة الله العادلة، بالإضافة إلى موضوع تأخّر مجيء المسيح. ويجد الكاتب نفسه في قلق ممّا يهدد العقيدة والأخلاق المسيحيَّة من قِبَلْ أناس «أردياء» (١٧:٣). فالإيمان إذًا في خطر، لهذا يشعر الكاتب بضرورة دعوة الكنيسة إلى العودة إلى نقاوة الإيمان والممارسة اللتين طبعتا بداياتها.

– يدّعي خصوم الرسول بطرس ان العالم هو خارج دائرة سلطة الله، لأن «كل شيء باقٍ هكذا من بدء الخليقة» (٤:٣). هذا يظهر من خلال المراقبة والخبرة الحياتية والاستنتاج العقلي، ما أدى بهم إلى التشكيك بمجيء الرب. جواب الرسول جاء من الكتاب المقدَّس (٥:٣) الذي يبيِّن لنا ان العالم هو من صنع الله وهو خاضع له وأن الله يدين الخطأة ويعاقبهم.

– إن العالم الذي نعيش فيه ليس مستقلاً وليس وليد الصدفة. إنه مخلوق بكلمة الله (٥:٣)، والمادة التي يتألف منها، أي الماء، يمكن لله أن يستعملها للدمار، كما في قصة الطوفان في كتاب التكوين (٦:٣). وكلمة الله هذه نفسها تبقى لتدين من يزدريها (٧:٣). والدينونة التي صارت قديمًا بالماء، ستصير أخيرًا بالنار (٧:٣،١٠،١٢).

– يعتبر الرسول أن عنده الكلمة النبوية (١٩:١) وهو بهذا يضمن حقيقة «يوم الرب». كما أن تأخر مجيء الرب هو بسبب تأنّي الله

علينا لكي يعطينا مجالاً للتوبة (٩:٣)، ولله الذي هو رب الخليقة والتاريخ نظرة مختلفة للزمان، فحساباته ليست كحساباتنا (٨:٣). حتى ولو بدا لنا الزمان طويلاً إلاّ ان الدينونة لا محالة آتية. إن يوم الرب «سيأتي كلص في الليل» (٣:١٠)، ومتى جاء فستكون هناك دينونة.

– في الفصل الثاني من الرسالة وصف لفجور المعلّمين الكذبة ويعتبر الكاتب ان التعليم الخاطئ يؤدي إلى تصرّف خاطئ. كما ان اهتمام الرسول موجّه نحو الانحطاط الأخلاقي كدليل على خطأ التعليم.

– تهدف الرسالة أيضًا إلى معرفة يسوع المسيح «إلهنا والمخلّص» (١:١–٢) معرفة صحيحة. إنه ابن الله الذي أعطاه مجدًا وكرامة (١٧:١)، وهو رب التاريخ (٣:٨–١٠، ١٥، ١٨). كما أن هدف الحياة المسيحية هو المشاركة في طبيعة الرب يسوع الإلهية (١: ٣–٤؛ ٣–١٨).

المناولة المقدسة

قال شيخ: بعدما انتهى أحد الأساقفة القديسين من مناولة الشعب ظهرت له وجوه البعض منهم سوداء كأنها قد طُليت بالفحم، ووجوه البعض الآخر نارية وعيونهم مخضَّبة بالدم. فهؤلاء كلهم، بعدما تناولوا جسد السيد ودمه التهبوا حالاً بكلّيتهم التهابًا شديدًا. لكنه شاهد آخرين بوجوه ساطعة وثياب بيضاء قد تحوّل فيهم جسد الرب إلى نور وجعلهم أكثر نقاوة ولمعانًا. وكان البعض منهم رهبانًا والبعض الآخر علمانيين.

بعد نهاية القداس الإلهي طلب إلى الرب أن يبيّن له سبب تلك المشاهد التي رآها. فحضر إليه ملاك الرب وقال له: أأنت متحيِّر في ما رأيت؟ إعلم أن الذين كانت وجوههم ساطعة وثيابهم بيضاء هم الذين يعيشون حياة عفة وبِرّ ونقاوة. وإنهم فضلاً عن ذلك، يكونون شفوقين ولطفاء ورحماء، وإذ يتناولون الأسرار المقدسة بضمير نقي يسطعون ويزدادون تألقًا.

والذين كانت وجوههم سوداء إنما هم الذين يتعاطون الفسق والدعارة، ويعيشون بالبذخ والتنعم بشكل متواصل. والذين كانت عيونهم مخضبة بالدماء ووجوههم ملتهبة كالنار هم الذين يسعون وراء الظلم والشر ويفرحون بذلك، ويحبون الشتم والتجديف، وإلى جانب ذلك هم قتلة خداعون. وعندما يتناولون جسد الرب، لا يكفي أنهم لا يستنيرون به، ولكنهم يحترقون احتراقًا لتجرؤهم على الاقتراب من أسرار رهيبة كهذه بضمير دنس ورجس خالٍ من التوبة.

أما أنت، تابعَ الملاك كلامه – فإن كنتَ تود خلاصهم (لأنه لهذا السبب أعلنتُ لك هذه الأمور لكي تعرف خطايا شعبك الذي ترعاه وتتمكّن من إرشاده وتعليمه)، حاول أن تحثّهم على التوبة لكي يقتربوا من الله الذي مات من أجلهم ثم قام. لأنهم إذا تابوا من كل قلوبهم وأصلحوا ذواتهم، يمنحهم السيّد المحبّ البشر والصالح بالطبع، ليس فقط الغفران ولكن التمتّع بالخيرات المستقبلة أيضًا. وأما أنت فيكون لك أجر عظيم في السموات لأنك اقتديت بسيِّدك الذي «أفرغ ذاته متّخذًا صورة عبد» من أجل خلاص البشر (فيليبي ٧:٢).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

والإيمان به؟ ابتعادنا عن الأرضيات أو عدم الهوى؟ هل نظهر هدوءًا أم وداعة؟ رحمة أو مشاركة لآلام الآخرين؟الصلوات النقيّة أو التخشّع الصافي؟ السهر أو الدموع؟ مغبوط هو الذي عنده مثل هذه الإنجازات حتى يشترك هناك مع الشهداء ولا يُطرد خارج الخدر، خدر النور، بل يكون له دالة عن طريق إنجازاته أمام المسيح وملائكته.

هلمّ وصِرْ تلميذًا للشهداءِ القديسين.إن أردتَ أن تتعلّم يصبحون هم معلّمين صالحين لك. يعلّمونك اللاهوتَ الصالح، الإيمانَ الكامل، محبّة الله، مشاركة الآخر بالألم والتشوّق إلى الخيرات المستقبلة. لقد تغلّبوا على النار الملتهبة بقدرة الله وبالإيمان الكامل. تغلّبْ أنت أيضًا على الرغبة الرديئة التي تشتعل باستمرار.تغلّب هؤلاء أيضًا على العذابات بالصبر والرجاء الذي كان لديهم للمسيح. تغلّب أنت أيضًا بالتعقل والفكر الأمين على كل الأهواء العدائية.تغلّبوا على الطغاة بالوداعة وطول الأناة.تغلّب إذًا أنت أيضًا على سلطان الغضب. لقد صار أولئك طبعًا شهداء بصراحة. صر أنت أيضًا بالخفية في داخلك وباستمرار شاهدًا كاملاً. أولئك جاهدوا جهاد الدالّة. جاهد أنت أيضًا الجهاد الداخلي السرّي حتى في يوم المجازاة تنال الإكليل معهم وتوجد في الملكوت وارثًا معهم متمتعًا بالفرح الأبدي.

القديس افرام السرياني